

بسم الله الرحمن الرحيم
من حياة الأتقياء (عائشة بنت أبي بكر)
الحلقة السادسة عشرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-
أيها المستمعون والمستمعات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذه هي نماذج من حياة المتقين من سيرة أم المؤمنين ، عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

وما تزوج بكرا سواها وأحبها حبا شديدا كان يتظاهر به بحيث إن عمرو بن العاص وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها.

وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرا مستفيضا ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربا إلى مرضاته قال حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة .

عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام متفق عليه .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ كَمَلْ من الرِّجَالِ كَثِيرٌ ولم يَكْمُلْ من النِّسَاءِ إلا أَسِيَّهُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنُ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ .

أيها المستمعون الكرام إن الأتقياء هم من أكثر الناس علماً ومن أحرص الناس على العلم بالعلم ، فهذه عائشة (رضي الله عنها) بلغت من العلم مبلغاً ، قال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة .

وقال الزهري لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وهاهي التقيّة عائشة (رضي الله عنها) تضرب لنا مثلاً في الإنفاق فعن عروة بن الزبير أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمئة ألف درهم فوالله ما أمست حتى فرقتها فقالت لها مولاتها لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما فقالت ألا قلت لي؟

وعن عطاء أن معاوية بعث إلى عائشة بقلادة بمئة ألف فقسمتها بين أمهات المؤمنين وعن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها تصدقت بسبعين ألفاً وإنها لترقع جانب درعها رضي الله عنها.

إن عائشة (رضي الله عنها) كانت تفعل ذلك ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى وهي تضرب لنساء المسلمين في ذلك مثلاً ، ولقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) النساء على الصدقة على وجه الخصوص للنجاة من النار حيث قال : يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَمُتِلْنَّ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ بَنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْنَبُ فَقَالَ أَيُّ الرِّيَاسِ فَقِيلَ امْرَأَةُ بَنِ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَمْ ائْذِنُوا لَهَا فَأَذِنَ لَهَا قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيِّي لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَرَعَمَ بَنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ بَنِ مَسْعُودٍ زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ. رواه البخاري

وفي هذا دليل على سرعة استجابة نساء المؤمنين لهذه التوجيه النبوي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك للنجاة من النار ، أعاذنا الله جميعاً منها .

والمرأة المؤمنة التقيّة هي التي تكون نعم الشريك لزوجها ، وفي هذا تضرب لنا عائشة (رضي الله عنها) مثلاً فتأملّي ذلك أختي المستمعة وهي تحكي طرفاً من حالها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فتقول :

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وليتي وبين سحري ونحري ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب فنظر إليه حتى ظننت أنه يريدني فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ثم دفعته إليه فاستن به كأحسن ما رأيته مستنقاً ثم ذهب يرفعه إلي فسقطت يده فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل وكان هو يدعو به إذا مرض

فلم يدع به في مرضه ذاك فرفع بصره إلى السماء وقال الرفيق الأعلى وفاضت نفسه فالحمد لله الذي جمع بين ربيقي وريقه في آخر يوم من الدنيا .

وتروي لنا عائشة (رضي الله عنها) طرفاً آخر من علاقة المرأة مع زوجها ، فتقول : عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ إني لأَعْلَمُ إذا كُنْتُ عني رَاضِيَةً وإذا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي قالت فقلت وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذلك قال أَمَّا إذا كُنْتُ عني رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وإذا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قالت قلت أَجَلُ والله يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَهْجُرُ إلا اسْمَكَ . رواه مسلم .

لا بد أن يكون في العلاقة بين الزوجين شيء يكدر صفو الود بينهما ، وقد يسبب شيئاً من الهجران إلا أن الهجر عند بعض النساء يتجاوز حده ويضر بهذه العلاقة ، فربما تهجر فراشه أو تهجر بيته بالكلية وينتج من ذلك أمور لا تحمد عقباها ، وهاهي الصديقة تعطي النساء في ذلك درساً فتقول : (والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك) .

وتروي لنا الصديقة (رضي الله عنها) جانباً من حياة الأتقياء في سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فتقول : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا ضرب خادماً له قط ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك الله محارم الله فينتقم أخرجه النسائي .

هذه هي الأسرة التقية التي تحسن التعامل مع بعضها ، وحتى مع خدمها ، لها في هذا الحديث منهج شرعي ، بخلاف أولئك الذين يتجاوزون حدود الشرع في التعامل مع الخدم والخدامات ، إما بتكليفهم مالا يطيقون أو عقابهم بما لا يستحقون ، أو حتى بحرمانهم من حقوقهم ومرتباتهم .

ومع ما كانت عليه تلك الأسرة الكريمة من العفاف والتقوى إلا أنها ليست من أهل الأموال ، فاستمع أخي ، واستمع اخيتي ماذا تقول عائشة (رضي الله عنها) عن عيشهم في بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : عن عُرْوَةَ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت إن كنا لَنَنْظُرُ إلى الْهَيْلَالِ ثُمَّ الْهَيْلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وما أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ فَقَالَ يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قالت الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إلا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

جِيرَانُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا. رواه البخاري .

هذه حال بيت سيد الأتقياء وأكرم الخلق على الله ، لا عجب في ذلك وقد قال المولى في شأن الدنيا : { وما الحياة الدنيا متاع الغرور } . وقال : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَلَدَّارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ }

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...